الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

مسرحية « مسمار جحا » :

افتتحت فرقة المسرح المصري الحديث موسمها الثاني على مسرح الأوبرا الملكية يوم الخميس ١٨ أكتوبر ، بمسرحية « مسمار جحا » تأليف الأستاذ علي أحمد باكثير وإخراج الأستاذ زكي طليمات

من هو جحا ؟ يقول لنا الأستاذ كامل كيلاني : جحا العربي — فهناك جحا التركي وغيره — هو أبو الغصن دجين بن ثابت ، عاش بمدينة الكوفة في القرن الثاني من الهجرة . ويقول : أعجب الناس بما سمعوا من طرائفه وملحه ، ثم تناقلوها جيلا بعد جيل ، فأضافوا إليها كثيرا من مخترعاتهم ، وأسندوا إليه كل غريب من الملح ، حتى تعذر التمييز بين الأصل والتقليد ، وأصبح جحا علما على فن بعينه من فنون القول ، بعد أن كان علما على شخص بعينه من أفذاذ الناس

ورأى الأستاذ علي أحمد باكثير أن يتخذ من هذه الشخصية الحائرة بين الحقيقة والخيال موضوعا لمسرحية يعالج بها قضية وادي النيل ويجري الصراع فيها بين الحرية والاحتلال

لم يأخذ المؤلف جحا من التاريخ ليحقق وجوده التاريخي ، وإنما أخذه من مجموعة النوادر التي تسند إليه ، وأمضى شخصيته — كما تخيلها وأرادها — في الطريق الذي رسمه للوصول إلى الهدف . فهذه المسرحية إذن ليست مسرحية تاريخية ، وإنما اتخذ المؤلف أشخاصها من سالف العصور ، وأجرى بينهم أحداثا ترمز إلى واقع عصرنا وتكاد تسفر عنه في بعض المواطن

الشيخ جحا يعمل واعظا في مسجد الكوفة ، فيعظ الناس على طريقته الخاصة . . يمزج الجد بالهزل ، ويعالج المسائل بمنطقه

وتغمرنا دفقة من ضياء !
فتمسح بالطهر تلك الدماء !
وكالطائر
تطوف هنا صرخة الثائر
ترددها مهجة الشاعر !
فتصرخ كالرعد بالغادر :
بأرض الجدود
تحاربنا فئة من قرود
تعيث وتزري بقدس العهود
فتضرب بالسوط ظهر العبيد !!
أيا قاليه
سنمشي على الشوك للداليه
لنعصرها خمرة صافيه
فتشربها ملغمة حاتيه !

ألم تعلمي ؟!
لهيب يؤز اللظى في دمي
وسخط يجلجل ملء الفم
ويصرخ بالنفس : لا تحجمي
فهذا الأنين
صراخ الضحايا وراء السجون
يطوف علينا ، فهل تسمعين ؟!
سننفض هنا غبار السنين !!
ألا فاعـــدوا
وراء الخلود لنا موعد
وخلف الصراع انا مورد !
هلموا .. هلموا ، يقول النذ

العراق - الحلة — عبد اللطيف النشمالي

الساخر . وهو لا يلزم حده كموظف يحرص على استقرار عيشه واستمرار رزقه ، فهو يبدو من أول الأمر صاحب رسالة اجتماعية وسياسية تحفزه على أن يطلق لسانه في الأغنياء والحكام ، فيعزله الوالي من وظيفته ويعود جحا إلى بيته حيث يلقى هناك زوجته « أم الغصن » الفطنة السليطة ، فتعنفه على طول لسانه الذي أدى إلى فصله من عمله ، وتسائله عما سيصنع بعد للانفاق عليهم ، ويدخل « حماد » ابن أخيه ، الشاب الفلاح الذي يحب « ميمونة » بنت عمه جحا . ويشير حماد على عمه أن يشتغلا معا بالزراعة ، فيقبل . وهنا تقول أم الغصن لزوجها جحا : إن اشتغلت بالزراعة فلابد أن يهجم الجراد على الزرع فيلحق شؤمك بجميع الفلاحين ! ويهجم الجراد فعلا . وتقع كارثة عامة

وبذلك ينتهي الفصل الأول ، فإذا كان الفصل الثاني وأينا جحا وزوجه في دار أنيقة وحال حسنة ، ونعلم من حديثهما أن الشيخ جحا أصبح قاضي القضاة في بغداد . ويدخل « عبد القوى » كاتب الحاكم الأجنبي ، ونفهم من حديثه مع جحا أن الجراد لما انتشر وأفسد الزرع ثار الزراع بتدبير جحا وقيادة حماد ، ثم استطاع جحا بحكمته ولباقته أن يقنع الحاكم الأجنبي بالعمل لإنصافهم من ظالميهم الملاك حتى لا تتحول الثورة الاجتماعية إلى ثورة سياسية وبذلك قرب مكانه من الحاكم ، فصار قاضي قضاة الدولة

ويحدث جحا نفسه ، ويحدث ابن أخيه حماد ، عن ضيقه بمجاراة الدخيل المتحكم في البلاد ، ويبدي رغبته في العمل لإثارة الشعب ضده ، فيرى أن تدبر قضية تعرض عليه ، تشبه قضية البلاد العامة ، فيطيل النظر فيها بحيث تشغل الرأي العام وتنبهه .. ويتفق الاثنان على أن يتنازل جحا لحماد عن داره ، فيبيعها حماد لمن يشتريها ، مشترطا عليه أن تبقى له (للبائع) ملكية مسمار في أحد الجدران . . ويتم ذلك ، ويقلق حماد راحة المشترى بالتردد الكثير على الدار لمشاهدة المسمار والاطمئنان عليه ! وتعرض القضية ، ويطول نظرها سبعين يوما ويحدث ذلك أثره المنشود في الشعب

ويرتفع الستار في الفصل الثالث عن منظر المحكمة ، والقضاة وعلى رأسهم جحا ينظرون هذه القضية العجيبة ، وقد امتلأ حرم المحكمة بجمهور من الشعب الحانق على صاحب المسمار الذي يتحكم في مالك الدار . . ونرى الحاكم قد أخذ مجلسه في المحكمة يرقب الحال ويستمع القضاة .. ويرد عليه جحا بأن العدل يجب أن يأخذ مجراه بعيدا عن التأثر بالحكام . ويأبى صاحب المسمار أن ينزل عن حقه في مساره .. فيشغب عليه الشعب ويهيب به مرددا :

يا رب المسمار انزع مسمارك

كشكول الأسبوع

▫ كانت ذكرى وفاة المغفور له أحمد شوقي بك يوم الأحد ١٤ أكتوبر الحالي . ويقتضينا الإنصاف أن نذكر الإذاعة المصرية بالثناء لاهتمامها بذكرى أمير الشعراء في هذا العام اهتماما لم يكن من عادتها فيما قبل ، فقد أذاعت في هذه الذكرى برنامجا حافلا تنوعا استغرق نحو ثلاث ساعات ، غير أننا نلاحظ أن دراسة الشاعر لم تأخذ حقها بالنسبة لبقية المواد ، فقد كان ينبغي أن تعرض وتحلل الجوانب الشعرية لشوقي ويجلى ما في شعره من ذخائر بدلا من الإملال بعرض أثاث بيته وتحفه

▫ انتخبت أكاديمية العلوم التاريخية في إسبانيا معالي الدكتور طه حسين باشا والأستاذ محمد شفيق غربال بك والدكتور محمد مصطفى زيادة بك أعضاء شرف بها

▫ تفكر الجامعة الشعبية في إنشاء قاعة كبيرة للمحاضرات العلمة تقوم في مكان متوسط من القاهرة ، باسم « قاعة فاروق الأول للمحاضرات العامة » وذلك بطريق الاكتتاب العام الذي يشارك فيه أبناء الشعب والهيئات الثقافية الحكومية والحرة

▫ نشرت في موسكو أغنية جديدة الشاعر الروسي سيرجي ميخالكوف ، عنوانها « حول القنبلة الذرية » يقول فيها إن الروس واثقون كل الرضا عن نجاح التجارب الذرية ، وليس لبعض الناس أن يخافوا ، لأن الروس — على عكس الأمريكيين الاحتكاريين — يريدون تحريم القنابل الذرية

▫ من الطرائف التي يرويها الأستاذ محمد مصطفى حلم ، أن المغفور له محمد محمود باشا كان قد أنشأ خطا حديديا من منوف إلى بنها . وأقيم احتفال لافتتاح هذا الخط ألقى فيه أحد المتشاعرين قصيدة ، منها في خطاب محمد محمود باشا :

قربت منوفا من بنها
وكذا الباجور من اسطبلها
سرس سبك قربت منها
بطريق حديد يا محمد !

من دار الأحرار إذ ليست دارك

فيصيح بهم حماد : ياقوم ، إنكم تهتمون بالمسمار الصغير وتغفلون عن المسمار الكبير ! ويشير إلى الحاكم . ويقول جحا للحاكم : إنك تستكثر سبعين يوما على نظر هذه القضية ، وهناك قضية أم منها لا تزال معلقة منذ سبعين عاما . . ويغضب الحاكم ويأمر بالقبض على جحا وإيداعه السجن . ويأتى بعد ذلك منظر جحا فى السجن وقدوم الحاكم عليه يفاوضه عساه أن يرجع إلى « صوابه » فيطلق سراحه ، وهنا يدور بينهما حوار رائع يفند فيه جحا كل حجج المستعمر على طريقته الساخرة ومنطقه الجحوى المفحم

ويثور الشعب ثورته الجامحة ، ويندحر الدخلاء . ويرتفع الستار فى المنظر الأخير من منزل جحا حيث نرى ابنته ميمونة تزين استعدادا لعقد زواجها بعبد القوى كاتب الحاكم الذى كان يعمل فى الخفاء مع الحركة الشعبية . وكان جحا قد وعد حماد بأن يزوجه ميمونة على رغم زوجته أم الفضل التى كانت تعارض ذلك وترغب فى زواج ابنتها من عبد القوى . وتحدث المفاجأة بأن يعقد القران ويضع جحا يده فى يد عبد القوى قائلا : زوجت ابنتى ميمونة لموكلك حماد . .

عرض الأستاذ باكثير فى هذه المسرحية ، القضية المصرية القائمة ، عرضا فنيا موحيا ، يبعث المشاعر الوطنية ويحفز الهمم ويرسم الطريق ، وقد سلط السخرية الجحوية النفاذة إلى عطرسة المستعمر وتبجحه فلم يدع له حجة إلا دحضها ، وتمثيل ذلك فى الحوار القوى الرائع الذى دار بين جحا وبين الحاكم الدخيل فى السجن . وقد ساق كل ذلك مساقا فنيا جميلا محتما خاليا من ثقل الوعظ وشوائب التهريج ، وتضمنت المسرحية إشارات إلى الناحية الاجتماعية من حيث ترف الأغنياء وحرمان الفقراء ، ولكن يلوح أن المؤلف كان يشعر بالقيود فى هذه الناحية فلجأ إلى التوريات والتلميحات ولم يأخذ هذا حريته كاملة كما أخذها فى الناحية السياسية

وقد صاغ المؤلف — فى براعة ولباقة — نوادر جحا فى الحوار واستخدمها استخداما حسنا فى التمهيد إلى الأهداف ، وفى إشاعة الفكاهة ، واتخذ من شخصيتى « أم الفضل » و « الفضل » مدارا للدعابة والمرح ، واستعان بأم الفضل ومشاكساتها لزوجها جحا على إبراز الفلسفة الجحوية وأثرها فى مجرى الحوادث

وهذه ثانى مسرحية — بعد سر الحاكم — نراها على المسرح للأستاذ على أحمد باكثير ، ولا شك أن المسرح يرحب بإنتاجه ويضمه فى الصف الأول من كتابه ، وأسجل له هنا — مع الغبطة والإعجاب — تلبيته لنداء المجتمع وأداء واجب الفن نحوه

وقد أخرج المسرحية الأستاذ زكى طليمات ، ولست أدرى ماذا أقول فى هذا الرجل الدائب على خدمة المسرح العربى بكل وقته وجهده وفنه ، هذا الرجل الذى يربط بين المسرح الراقى والأدب الرفيع فى الوقت الذى نرى فيه عوامل كثيرة تحاول أن توهن هذا الرابط وتميل بفن التمثيل نحو الإسفاف وصناعة التسلية الخاوية

والحديث عن إخراج المسرحية يكاد يظلمه ضيق المقام ، وقد جرى الأستاذ زكى طليمات على مذهبه الإيحائى بالمناظر والإضاءة والأصوات والمجموعات (الكومبارس) فكان موفقا كدأبه فى تصوير جو الرواية ، سواء المشاهد منها وما يلمح وراء الأحداث ، وهذا يقابل ما يسمى فى فن الكتابة « ما بين السطور »

ثم أجمل ملاحظاتى على التأليف والإخراج فيما يلى :

١ — المسرحية تهدف إلى معالجة القضية المصرية وقد حددت فيها ملامح هذه القضية تحديدا ظاهرا ، وروح الدعابة والملح مصرى ، ومع ذلك قيل إن جحا يمثل الناس فى الكوفة ويتولى القضاء فى بغداد ، ولو أغفل ذكر هاتين المدينتين ماضر ذلك شيئا

٢ — فى المنظر الأول يقول جحا للناس وهو يعظهم : سبحوا الله واستغفروه . فيقولون : لا إله إلا الله : والتسبيح هو قول سبحان الله ، والاستغفار : أستغفر الله . وقد مر ذلك بالمؤلف والمخرج والممثلين جميعا ، ولم يلتفت إليه أحد منهم !

٣ — أرى أن دخول أم الفضل على زوجها جحا فى مجلس القضاء والشهادة التى حدثت بينها و (ردح) الزوجة لزوجها — لم يكن كل ذلك لائقا ، وكان مقحما وحشوا

وقد أجاد الممثلون والممثلات فى أداء أدوارهم ، وخاصة سعيد

أبو بكر (جحا) ونعيمة وصفى (أم الفضل) وعبد الرحيم الورقانى (الحاكم الأجنبى) وصلاح سرحان (حماد) وعدلى كاسب (والى الكوفة) وسميحة أيوب (ميمونة) وظهر عبد الغنى قمر فى دور قصير هو دور عالم ينافس جحا ، فكان موفقا فى أدائه ، وأحب أن أقول لعبد الغنى : ليس المهم أن يأخذ الممثل دورا كبيرا فى الرواية ، بل أن يكون فى دوره الملائم له . ومثل « الفضل » شاب جديد هو عبد المنعم إبراهيم فكان مثار المرح والفكاهة فى الرواية كلها ، وقد دل هذا الشاب على استعداد يبشر بمستقبل ، وخاصة فى الأدوار الهزلية

وأهمس فى أذن أبطال الفرقة : أخلفتم ما عهدناه فيكم من مراعاة الإعراب فى هذه المرة ، وأنتم تؤدون اللغة العربية أداء جميلا من حيث التمثيل والإلقاء ، ولكن حذار من غضب سيبويه ! وأخص بالذكر سعيد أبو بكر ونعيمة وصفى ، فحرام أن يشوبا كفايتهما الفنية العظيمة بهذا الخطأ ..

ماذا تغنى أم كلثوم ؟

أصدر رفعة رئيس الوزراء قرارا بإلغاء الحفلة الغنائية التى كان مقررا أن تحييها الآنسة أم كلثوم بالنادى الأهلى مساء يوم الخميس الماضى ، وذلك رعاية لشعور أهل شهداء منطقة القنال . وقد صدر القرار على أثر برقيات أرسلت من مختلف بلاد القطر المطالبة بإلغاء هذه الحفلة

ولا شك أننا جميعا نشعر بالأسى لفقد أولئك الضحايا ، وليس للهو والمباهج مكان مع هذا الشعور . وقد صدر قرار رفعة رئيس الحكومة وصدرت تلك البرقيات ، معبرة عما يخالج نفوس الجميع

ولكن لى وقفة فى هذا الموضوع إزاء فن الموسيقى والغناء وهل هو لهو كله لا يناسب إلا حال البهجة والمرح ؟

ننظر أولا فى واقع الأمر . ماذا كانت ستغنى أم كلثوم فى هذه الحفلة ؟ نشرت أبيات من شعر شوقى قيل إنها أغنية جديدة أعدتها أم كلثوم للغناء فى حفلة الموسم الجديد ، وهى من نوع النهويات التى جرت مطربتنا الكبيرة على جعلها من شعر شوقى والخيام معرضة عن واقع الحياة الذى يجرى حولنا . فكان المتوقع أن تغنى هذه الأبيات ، إلى أغنيات أخرى من العشاق والذى « يصالح فى روحه ! »

وعلى ذلك لم ير الناس ولم تر الحكومة من اللائق أن تغنى أم كلثوم على ذلك النحو المألوف فى هذا الظرف . ولا يسوغ هذا الغناء ما قيل عن تبرعها بإيراد الحفلة لصالح أسر الشهداء ، لأن الأساس العمل المناسب لا ما يجنى منه

أقول ليس من اللائق أن يغنى ذلك الغناء فى هذا الظرف ، ولكنى لا أذهب مع القائلين بأنه لا يناسب الغناء . فالغناء والموسيقى يعبران عن كل حال ويناسبان كل ظرف ، ولكن المدار على الطريقة والمادة التى تغنى . ومن البداهة أن هذا الفن — إذا أحسن استخدامه وتوجيهه — يقوى الأرواح ويغذى المشاعر الوطنية ، فمن الإطالة المملة أن أفيض فى هذا الأمر المفروغ منه ، وحسبى أن أشير إلى ما كان يصنعه العرب من اصطحاب نسائهم فى الحروب ينشدن للأبطال ويقوين عزائمهم ، وأن أذكر أثر « شوبان » فى بعث أمته بألحانه وبما كان يكسبه بعزفها من المال ويرسله إلى أحرار وطنه كى يستعينوا به فى العمل على تحرير بلادهم

ومالى أذهب بعيدا وأم كلثوم نفسها تعلم أن « دنانير » كانت تغنى على أطلال البرامكة . .

فلو أن أم كلثوم اختارت قطعة لشاعر من وحى الحالة الحاضرة وأعدتها للغناء فى هذه الحفلة وتبرعت بإيرادها كما قيل ، لكان ذلك عملا مشكورا منها ، ومشاركة من الفن فى الجهاد الوطنى .. وما أظن عندئذ أن أحدا كان يعترض عليها أو يحتج على الغناء

عباس خضر